● الصابرون

تأليف : جاك أوديبرتي
ترجمة : د. نعيم عطية
مراجعة : يحيي حقي

الصابرون
مقدمة بقلم المترجم

« **نبع الجديان** » هي الام التي تخاف على ابنها الوحيد « **زهرة اللؤلؤ** » من ان يذهب ضحية الحرب الدائرة دون ان تفهم لها معنى . وعندما يقبل الجند الى بيت الخزاف تحاول جاهدة ان تخفي ابنها وتتمنى ألا تكون قد ولدته حتى يظل آمنـا في رحمها .

وقد عاش زهرة اللؤلؤ صبيا فى دكان المعلم العجوز ينفض التراب عن مشغولاته الخزفية . ويستمع الى حكمه وفلسفته ويشترك فى اللعب مع العجوز وابنته ناسيا التي يحبها زهرة اللؤلؤ ويتمنى ان يفعل اي شيء يكسبه رضاها .

وعندما يذهب « **زهرة اللؤلؤ** » أو « **جان** » الى الحرب ارضـاء لصديقه طفولته ناسيا تصب عليها الام العجوز « **نبع الجديان** » لعناتها فتقول لها « ناسيا ، انت ، يا أيتها الضفدعة العطنة ! انت . انت السبب، ولو كان لي اسنان لغرستها فى ردفيك » وتمضي الام جزعة تسأل الغادين والرائحين عن ابنها فيسخر منهـا الناس قائلين « ابنها ! ماذا تظن هذه ! الابناء جميعا ، اين هم ؟ لم يبق من الابناء احد . ما من ابن بقي » وهكذا تتحول مشكلة « نبع الجديان » الى مشكلة عامة تخص الامهات جميعا . وفي هذا تقول للجنرالين هوم وهوج « وددت ان تحادثكما امهات اخريات كما احدثكما انا !. تسمعانهن ، على ما ارجوه ، فى كل الارجاء ، ويبكين . هذه تزمجر ، وهذه تولول ، وهذه تصرخ . الامر قاس . اتسمعانهن ؟ كل منهن تستجدي ابنها . والابناء يطالبون بما فقدوا من اعضائهم . ذراعي ! ساقي ! ركبتي ! كم من حساب عليكما ان تؤدياه . احس بالخوف . احس بالخوف من اجلكما ... ان شقائي كبير بحجم الارض كلها » وترفض ان تجرى لابنها مراسم التكريم التي تجرى للجنود القتلى كما ترفض كل تعويض وتحادث ابنهـا الميت قائلة « تعال ، يا بني ، تعال مع امك . سأنام الى جوارك . سنبحر جنبا الى جنب ، وقد ادار كل منا عينيه نحو الاخر . » .

اما ناسيا فهى الفتاة التى تتحول سريعا من صبية غريرة تلعب العاب الاطفال مع جدها العجوز الى امرأة انضجتها الاحداث . وتقول لرفيق صباها زهرة اللؤلؤ « البنت في سن السادسة عشر يكتمل نضجها ، اما الصبيان فلا يزالون فى هذه السن اطفالا رضعا ! » وتستهوى ناسيا مظاهر القوة البراقة ، الاسلحة والخوذات والشارات والاوسمة . وعندما يدخل الى بيت جدها كل من الكولونيل هوج

والكولونيل هوم ، فانها تنبهر بمظهرهما ومنكبيهما العريضين وتسكر بكلامهما عن الاوامر التى يصدرانها والمعارك التى يخوضانها . وتغرى صديقها الوديع « زهرة اللؤلؤ » ان ينخرط فى سلك الجندية ايا كان الجيش الذى سينضم اليه ، يكفى ان تراه لابسا خوذة . وينزل الصبى الرقيق على رغبتها كى يفوز بحبها ويقول لها وهو يغادر بيت المعلم العجوز « سأفوز بخوذة . ناسيا ، عندما افوز بخوذة هل ستقبليننى ؟ خبرينى ، هل ستقبليننى يا ناسيا ؟ هل ستقبليننى ؟ . » ولا يأبه الصغير لتحذيرات العجوز الذى يقول له « لا ترحل . سيكرهونك على التعذيب . جان ، ما ابتغت يداك التعذيب يوما » وعندما يسأله العجوز سؤالا اخيرا « لكن لماذا هذا ، يا صغيرى ؟ لماذا ؟ » يقرر له « كى تقبلنى . هاك السبب ! »

وتمضي ناسيا مع الحرب ، تنضج على نارها ، وتغنم منها . تغنى اغانى الجند . وتبيع جسدها وارزها للجميع . فهى كما تقول « بلا قلب » الارز يجلب المال والمال يجلب الارز » وتقول « **بيع الجديان** » للمعلم العجوز عنها « بنتك الافعى باعت ارزها . تقلب بين يديها مالا وفيرا ، ويقول العجوز لناسيا متحسرا « بالامس كنت ، ياصغيرة ، بالامس كنت تناغين دميتك » فتقول له ناسيا « نار الحرب تنضج النساء . كسبت بأرزى في امسية واحدة اكثر مما كسبته باطباقك منذ أن بدأت العمل . » ما عادت ناسيا تؤمن بشيء الا بالشره والكسب الحرام . وينفخ المؤلف فيها نفحات الشر والقسوة التى لا تخلو منها طبيعة المرأة رغم ما يبدو من وقتها . انها حواء التى اغرت ادم على التردى في المعصية . وهذا ما فعلته ناسيا بزهرة اللؤلؤ . ولكن ناسيا التى لم تستمع الى نصيحة جدها العجوز عندما قال لها محذرا « ناسيا ، يا بنيتى الصغيرة ، هذه الاسلحة مليئة بالعذاب . فيها يتجمع الشقاء ويتركز متأهبا ان يثب الى الجسد التعس » تدفع فى النهاية ثمن زلتها الكبرى ، وهى تحمسها للحرب ، واعجابها بالمحاربين . اذ لا يلبث ان يعود القائدان هوم وهوج الى بيت الخزاف وقد عقد بينهما هدنة قصيرة يتفقان فيها على تقسيم الاقاليم التى يتحاربان من اجلها ، ويتخذان من جسد الفتاة خريطة

لهما . يقول لها هوم « استلقى يا فتاة على هذا الحصير » ويردف هوج قائلا «كونى فخورا . تحت انظارنا ستمثلين الارض » ويرقد الجنرالان ناسيا على الحصير . ويمضيان يقتسمان الارض بطرفى سيفهما ، يشقان بهما جسد الفتاة الراقدة يقول هوم « تتبع الخط الذى اشقه . انى اخذ ما هو ممتد من هنا الى هناك وتصرخ ناسيا « احس بانى تمزقت تماما .. انى ادمى .. ادمى .. ادمى . » ويقول المعلم للقائدين « انكما تقتلانها . تمزقانها . سيفاكما يعذبان مثل فكين مفترسين » وتلفظ ناسيا انفاسها الاخيرة وهى تقول « اتفق السيفان على النفاذ الى القلب . عرفت ان لى قلبا فىاللحظة التى افقده فيها . كل شيء يضحى سوادا » .

ماتت ناسيا كما مات من قبل زهرة اللؤلؤ . فالحرب لا تدع احدا على قيد الحياة ، سوى الجنرالات الذين يتبارون في لعبة لا يعرفان بالضبط لماذا يلعبونها سوى انهم يشبعون بها شهوات حمقاء .

ويقرر المعلم العجوز الذى يأمل فى تغريد عصفوره ان يضع نهاية لآلام البشر – يقرر ان يضع النهاية بنفسه ويقول « رأيت البيوت تتقاطر مهدومة مثل البهائم تحت وقع العصا . رأيت الجموع تجرى مثل نهر استبد به الخوف . رأيت من يموت . وليس الموت شيئا ذا بال . رأيت من يتعذب ليس من الممكن ان يكون العذاب شكلا من اشكال الخير . فلتتفجر هذه القنبلة . »

ويعود يقول لنا المعلم العجوز من عالمه الآخر « كان الامر ومضة . كان مفاجأة .. رأيت الموتى وقد ارتسمت على وجوههم اعمار الحياة كلها يجرون نحوى وقد امتلأت ايديهم بالعذاب وقصائد الشعر . وانا الآن ميت بدورى .. اوجد فى مكان اجهله .. مات الجنرالات ، ومع ذلك فالحرب ماضية فى كل مكان من حولى .. »

احتفظ المعلم الفنان على الدوام فى قلبه بأمل كان هو عزاءه وسلواه . ان فى متجره عصفورا ، من عرفه الى ذيله أبدع صنعه ، بلا خلل ، من خزف ناصع البياض يتلالا لرائيه ، وهو ابسط وانقى الف مرة فى شكله من شكل الدبابة الزاحفة كالجراده ومن شكل الطائرة المزمجرة فى السماء كالنمور الغاضبة . انه اذن اقوى من كل ادوات الدمار ذات القوة الهائله وهو اقوى منها ليس لانه عمل فنى فحسب ، ابدعته انامل فنان ولكن لان هذا العمل الفنى ينطوى على امل أو قدرة ، ذات يوم ، سيغرد هذا العصفور من تلقاء ذاته ، سيغرد ذات يوم باسطا جناحية الوضيئين وسينطق بالخلاص . وفى ذلك اليوم سيموت الشقاء . ولكن أى يوم هذا ؟ انه غير معروف ولكن « ربما عندما يضحى جبل الالم من الضخامة بحيث يحمل عظم الغفران . »

ويخاطب المعلم العجوز عصفوره قائلا : « ياسيدى العصفور يامن تسمعنى ، منذ اليوم الذى صنعتك فيه كل اولئك الذين يتعذبون فى الطرقات يجب ان يشفوا مادمت على قيد الحياة ، ياايها الشىء المخيف الخالص ، ياايها العجيبة الهائلة ، شكل فيك الاغنية من اجل الحب . الرعب والجنون بعيدا فلا يكون لهما عودة . « ياسيدى العصفور ، اجب ، كى اسمع صوتك ، فلينطلق صوتك وليمنح الشفاء . غن أيها العصفور ، غن ! وليتحقق العقاب الذى لا اسم له وليحطم صوتك الكابوس الذى ندور فيه . غن ياسيدى العصفور »

ويتأمل المعلم أحوال العالم فيقول « هذا العالم كتله من الشقاء . يجب أن ينفجر فى النهاية . » ويجرى المعلم العجوز مقارنة بين الواقع والفن فيقول « العالم مع ذلك باق هناك . البروق والشقوق والحفر هى النسيج الذى يتكون منه العالم . يعجبنى فى مشغولاتى الخزفيه انها تعرف كيف تسلم من الخدوش . يامشغولاتى الخزفية ، انت يارفيقاتى ، ويا أخواتى ، لا عمل لكن الا ابرازكن – بفضل المقارنة بين النقيضين – مافى الشر والشقاء من دمامة . » ولكن الخزاف العجوز يعود فيتحسر على عجز الفن عن طرد الشقاء من هذا العالم فيول « وانت ، ياسيدى العصفور ، يامن انت اكثر وضاءة من لازورد النجوم . ولست اقل قيمة وقدرة على التوازن والتصميم من أجنحة الطائرات اسفاحة . انت ،

انت ، ياسيدى ، لم تطلق رنين صوتك الذى يجلب العزاء » ويمضى الخزاف فى حسرته من عجز الفن عن تحقيق السعادة والعزاء للبشر فيقول « لست سوى قليل من الطين وقليل من طلاء خزفى . ان روحى ابدعتك ، ويدى شيدتك . ولا زالت ليدى القوة ان تدمرك . » فتجيبه ناسيا التى حنكتها التجارب بعد ان خرجت تلتقى بالجنود وتغنى اغانيهم السمجة الحزينة ، وايضا لتبيعهم ارزها وجسدها. « جدى . انت مجنون ، بالطبع انه لا يغنى .. هلا تركته وشأنه .. انك ترى انى اقوى منك » .

ويصل الامر بالمعلم العجوز وقد تضاءل ايمانه بالعصفور أن يقبل ان يهبه للجنرال هوج فيقول له « لو اردت هذا العصفور الصموت الخداع فانى اعطيه لك . خذه ولكن هذا العصفور او هذا الامل يصمد حتى فى مواجهة الموت والدمار الشامل فقد شرخته القنبلة التى فجرها المعلم العجوز حتى يضع نهاية للشقاء الانسانى « لكنها لم تدمره » واذا تأبى على التفريد فلان الحياة بكل شقائها وسوادها لا تكون ذات وجود بغير انتظار الامل وتوقعه .

نجد فى مسرحية « **الصابرون** » تطبيقا لعديد من الافكار الرئيسية التى رأيناها فى مسرح اوديبرتى بصفة عامة ، فالمسرح ليس هو الواقع بل انه « عالم الاكاذيب المصرح بها ، عالم الايهام المقبول . » وفى « **الصابرون** » نجد حقا هذا العالم « من الاكاذيب المصرح بها والايهام المقبول » ونسمع فى جنباته حوارا متقن التلوين مفعما بالخيال. لا يلجأ فيه المؤلف الى التعبير المباشر بل الى اداة الشعر ، فيقدم افكاره وراءه فى صيغ غير مألوفة تشحذ الخيال ، وتبعث على التأمل ، وتحمل على الوقوف أمام العبارات فى استجلاء دلالاتها التى تتعدد فى بعض الاحيان ،حتى تثير فى قلب المستمع الرعشة التى يحققها الشعر الجيد . ولهذا فان « **الصابرون** » مثل اعمال اوديبرتى تستحق وصف « **السهل الممتنع** » فهى تبدو سهلة البنيان سلسة المنطلق ، ولكنها مغزولة فى براعة بشتى الالوان والاضواء ، والاصوات والصور .مما يجعل لهذه المسرحية عند استيعابها ايقاعا خاصا اجاد اوديبرتى تحقيقه . ومن حوار منثور تهب نسمات الشعر ونغمات الموسيقى . حتى انه يصف مسرحيته « **الصابرون** » بأنها « **قصيدة انشادى** » لان اوديبرتى كما رأينا يدخل فى زمرة شعراء المسرح الحديث .

وهذه المسرحية بدورها تعالج الموضوع الذى لا ينضب معينه عند اوديبرتى وهو الصراع بين الخير والشر ، والامل عبر اكوام من الاشلاء الانسانية والخرائب التى هدمتها القنابل . وعلى الرغم من سحب الدخان السوداء التى تكتنف العالم خارج بيت الخزاف فلازال أهل البيت يلعبون ، ولا ينسون طفولتهم .بينما بلغت الانسانية خارج البيت اقصى درجات شيخوختها وتدهورها ولكن لازال الامل قويا فى أن يفرد العصفور الخزفى . بصوته الذى سيمنح الانسانية السلام ويطرد عنها كل الهموم والشرور . على ان الداخل لايمكن ان يقف منفصلا وعندما خطا أهل الخارج داخل البيت جلبوا معهم الخراب والاحزان .

ويتجلى فى « **الصابرون** » ما سبق ان قلناه عن مسرح اوديبرتى بصفة عامة من **لامعقولية الوجود وهزلية الحياة . وهزلية الحياة هنا تقطر** دموعا ودما . وتنطوى على أدانه لاولئك الذين يحيلون الحروب الى لعبة رهيبة لتحقيق اطماعهم الزائلة . يقطعون فى سبيلها اوصال الانسانية ، **ويخطون على** جسدهابأسنةالحراب والسيوف **نزواتهم دون اكتراث** بصرخات ذات الجسد الذى يتمزق تحت وطأة سنابكهم . **وهل كثرث هوج اوهوم** بأنين ناسيا وهما يتخذان منها خريطة لعالم يقتسمان عليها أسلابهما وغنائمهما وكأن لا شىء فى الدنيا له شأن سوى ارادةصاحب السلاح ؟

وتنطوى « **الصابرون** » أيضا على فكرة حبيبة الى المسرح الحديث بصفة عامة وهى فكرة « **الانتظار** » فى جو كابوس قلق ، فالمعلم واهل مشغلة ينتظرون ان **يطلق العصفور أغرودته فيزهو** الزمان وتتبدد الرزايا والاحزان . ولكن هل غرد العصفور ؟ **ويمضى المعلم فيتساءل** فى نهاية المسرحية بل ولماذا يغرد ؟

وتقوم « الصابرون » على تقارع عالمين عالم الواقع الفظ وعالم العلم والطفولة عالم الفظاظة **وعالم الفانتازيا** والشعر ، والمعلم ولا شك شاعر فنان . يصوغقصائده مشغولات خزفية تجمع بين الدقة والجمال . واما هوج وهوم فهما رسولا الشقاء والتعاسة فى **هذا الوجود. يتلذذان** بالقتلوالتخريب ،ويتباريانفىالتدمير والقسوة ويبدو أن مهرجين شريرين للقوة الحمقاء .

ويستمتع **اوديبرتى** حقا باستخدام اللغة فى مسرحية « **الصابرون** » ويصعد بها الى قمم عالية من الابتكار والطلاوة . ولا يبدو بحال مقتصدا فى استخدامها وتضحى هذه **اللغة** كلما اقتربنا من نهاية العمل انفجارا من البهارج الصوتية ينطوى على سكينه **تتعدى حدود الوضع الانسانى** الراهن بكل تعاسته . ومهما ادلهمت الظلمات فى ختام المسرحية فلا يلبث ان يتبدد الدخان الاسود وتبدو للمعلم رؤيا فيها من الخيال مافيها ولكن فيها ايضا الكثير منالدعوة الى التفاؤل والتشبث بالخير الانسانى . فعلى الرغم من حجافل الظلام فلا زال على الدوام هناك بصيص من نور أو ثمة خلاص . **وتقف بذلك** ازاء مسرح رمزى تحيطه غلاله أسطورية تجعله قابلا للعدد من **التفسيرات . والايحاءات** .

ويطعم **اوديبرتى مسرحيته** بالاغانى . وهو يعول كثيرا على الغناء فى اعماله المسرحية ويعتبر **المسرحية** فرصه طيبه لان يبث الانسان اشجانه فى صوته الذى يسمعه الى جمهور المتفرجين ، فتمس شغاف قلوبهم .. ولعل من أبرزمافىمسرحية

« **الصابرون** » ايقاعها الدرامى المنضبط ولا يقتصر الامر فى هذا المقام على الغناء بل ان الموسيقى ــ وهى موسيقى من نوع معين يتفنن وديبرتى فى وصفها والايحاء بها ــ تسهم فى بناء الايقاع الدرامى. والذى ينقذ اوديبرتى من التردى بمسرحية « **الصابرون** » الى هوة التعاسة المخيمة على العمل كله هو نزعته الشاعرية .. فهو وان كان يخوض بنا غمار المعارك وتتناثر الاشلاء وتولول الامهات فى طلب ابنائهن ، الا ان الجو الاسطورى للعمل يكفل له صفاء بلوريا لاتعكره سحب الدخان المتصاعده من القذائف والحرائق ويبنى اوديبرتى عمله على افه البشرية منذ ان وجدت وهى الحرب والدمار .حتى لتبدو لنا شخوصه حديثه .. شديدة الحداثة وفى الان ذاته قديمة موغله في القدم وهى دمى بشريه تحركها خيوط ماكره خفيه . ان الحقيقة الواقعية تتحول بين يدى اوديبرتى فى « **الصابرون** » الى حكاية خرافية تحكى الدهر كله .

***

العنوان الأصلي للمسرحية

LES PATIENTS

Poème à voix

Musique de Marcel Mirouze

شخصيات المسرحية

المعلم العصفورى	Le Maître a L'oiseau
ناسا الفتاة الشابة	La Jeune Nassia
« زهرة اللؤلؤ »	Paquerette
السيدة « نبع الجديان »	Madame Chevre fontaine
كولونيل هوج	Colonel Houg
كولونيل هـوم	Colonel Houm

★★★

الصابرون

قصـــيد انشادى

(تجرى الأحداث في جمهورية الصبر عند « المعلم العصفورى »)

(افتتاحية موسيقية قصيرة ، سلسة ، تتخللها فرقعة صناجات ثلاث مرات ، ثم تليها فرقعة أخرى ، وبعد ذلك يعم الصمت)

المعلم العصفورى : (في السبعين من عمره) ايه . حسنا ! توقف الصخب كل شيء على مايرام .

ناسـيا : (في السادسة عشرة من عمرها) توقف ، لكنه سيعود من جديد . الأرز الذى تبقى وضعته بأعلى الأرفف في قبعتك القديمة ، أشد قبعاتك سوادا ، وأكثرها قدما . لن يكتشف أحد بذلك أين خبأنا أرزنا .

المعـلم : كبرت ، ياناسيا ، وصرت مكيرة .

ناسـيا : أتشكو من ذلك ، ياجدى ! أتشكو من ذلك ! بغير هذا المكر قل لطعامنا الوداع ! لن ينتشلنا السيدزهرة اللؤلؤ من الورطة .

زهرة اللؤلؤ : (في السادسة عشرة من عمره) ناسيا ، أنهاك عن مناداتي بزهرة اللؤلؤ . اسمى جان . أبلغ من العمر ستة عشر عاما . واني قادر على . . قادر على . . .

ناسيا : على أى شيء ، أيها الغبي المسكين .قل على أى شيء ؟ انك تتابع المعلم ببصرك وسمعك . هل تعتقد أنه هكذا يحافظ المرء على حياته ويدافع عنها ؟ أيها الطفل

زهرة اللؤلؤ : طفل . . . ولكنك بدورك ليس لك من العمر الا ستة عشر ربيعا .

ناسيا : البنت في سن السادسة عشرة يكتمل نضجها ، أما الصبيان فلا يزالون في هذه السن أطفالا رضعا !

المعلم : انكما طفلان ، أنت وهى . بل أنا نفسى لازلت طفلا . أعترف بذلك . أتعرفان ماذا يفعل الأطفال ؟

ناسيا وزهرة اللؤلؤ : من ؟

المعلم : الأطفال . يلعبون . نحن أطفال . فلنلعب .

(موسيقى قصيرة ، سريعة ، دقاقة)

زهرة اللؤلؤ : ماذا تقول ؟

المعلم : أقول فلنلعب . أسرعا ، أيها العزيزان . أعدا خشبة المسرح . سوف نلعب لعبة الستة والثلاثين . هيا . . . تعرفانها جيدا . . . لعبتنا في الماضى .

ناسيا : « الماضى » أصبح الآن كلمة من كلمات الماضى . ماعاد شيء يهم الا اللحظة الحاضرة .

زهرة اللؤلؤ : وهل تصلح اللحظة الحاضرة كى نلعب ؟

المعـــلم : لحظة اللعب ، أيها العزيزان ، هى عندما نلعب . اجلسا على كعوبكما . أنت ، يافتاى ، أعطيك الحصان . وأنت ، ياصغيرتي ، خذى النعجة . وسنحتفظ في الكيس الذى سندس به ايدينا بسائر الحيوانات الاخرى ، السلحفاة ، البقة ، والديك الرومى اللطيف . اليك ، ياجان . اليك ! احترس ! أنت تمعن في غرس جوادك الخزفي في أرضية المسرح الخزفية .

زهرة اللؤلؤ : معذرة .

ناســـيا : زهرة اللؤلؤ يموت من الخوف .

المعـــلم : نحن على قيد الحياة . نحن في الحياة ، في متجرنا ، وننتظر الزبائن . أهناك ماهو أبسط وأوضح من ذلك

زهرة اللؤلؤ : الزبائن ، يامعلم ، يامعلمى ، أنت تمزح .

المعـــلم : أقول إننى بأنتظار الزبائن ، وتجد إننى بذلك أمزح ؟ الحياة هى التى تمزح وتهذى .

ناســـيا : هيا ، ياجدى ، لن تعطينا محاضرة .

المعـــلم : أنا بائع خزف . منذ خمسين عاما أقمت متجرى هنا ، من الطوب والخشب ، في أحد الثلاثين الف مكان التى تتألف منها مملكة الصبر . . أنتظر الزبائن لاأستطيع أن أذهب وأجرهم من أنوفهم . فلنمثل يأيتها الهرتان الصغيرتان . . .

ناســيا : ماعادت مملكة الصبر سوى مذبح تتصاعد منه الأبخرة ومع ذلك فانك ، ياجدى ، تظل راضيا . مامن شيء يؤثر فيك . هل أنت مخلوق من الخزف ؟ . . .

زهرة اللؤلؤ : بل قد يُعْتقدُ ، أيها المعلم ، يامعلمى ، أنك اليوم أكثر أنشراحا من المألوف . ومع ذلك . . . فان نمور الموت على الدوام محومة .

(نغمة من محرك سريع منفرد)

المعــلم : في قبعتى القديمة ، أخفيت ياناسيا ، أرزنا .

ناســيا : بدرت في حشيتينا منه أيضا .

المعــلم : أما أنا فأسهر على كنز مختلف ! ليس بطة ولادجاجة بل ليس عندليبا ولانسرا . انه مطلى ، صلب ، رقيق ومع ذلك ، فهو جبار . . .

ناســيا : نعرف ! نعرف ! انه العصفور . . .

زهرة اللؤلؤ : ناسيا ! انك تعنفين والدك .

ناســيا : تقصد جدى . آه . تعبيرك شاعرى ، تعبيرك شاعرى انه العصفور حقا . . . حدثنا عنه ، عن هذا العصفور

المعــلم : العصفور ، من عرفه إلى ذيله أبدعتُ صنعه بلا أدنى خلل ، منخزف ناصع البياض حتى انه يتلألأ لرائيه أنه أبسط ، وأنقى الف مرة في شكله ، من شكل الدبابة الزاحقة كالجرادة ، ومن شكل الطائرةالمزمجرة في السماء كالنمور الغاضبة .

ناســيا : شكّلته بيديك . جمدته بالنار . انــه عمل فــنى ، عمل فنى بين كــل الاعمال الفنية التى هنــا .

المعـــلم : تخطئين ، ياناسيا ، تخطئين . حتى لو كان قد مر من النار ، وخرج من بين يدى ، فان هذا العمل الفنى ، كما تقولين ، لديه مايقوله ! هذا العمل الفنى ينطوى على أمل وعلى قدرة ، يتردد فكرى ذاته في التعبير عنهما .

ناســـيا : ولكن أى أمل ؟ وأى قدرة ؟

المعـــلم : ذات يوم ، سيغرد هذا العصفور . من تلقاء ذاته ، سيغرد ذات يوم ، باسطا جناحية الوضيئين إلى مالا نهاية ، دون أن يترك مع ذلك الارض . هذاالعصفور وليد حكمتى ، وقد صار فجأة أكبر من الكون ، سينطق بالخلاص . في ذلك اليوم سيموت الشقاء .

زهرة اللؤلؤ : أى يوم هذا ؟ قل لنا ، يامعلم . . . أى يوم هذا ؟

المعـــلم : ربما عندما يضحى جبل الألم من الضخامة بحيث يحمل عظم الغفران .

ناســـيا : أما في الوقت الحاضر . . فالنمور المزمجرة . . تحلق فوقنا . (يسْمعُ أزيز طائرة . تدخل السيدة « نبع الجديان » والدة زهرة اللؤلؤ والعاملة بحلب الماعز)

نبع الجديان : ابنى . . . أين ابنى ؟ . . . جان ، أنت هنا ؟ بخير . أسرع في القرية ضباط . . يبحثون عن الرجال . . أفترض أنهم أعتبروا أبنى رجلا ، سيلبسونه الخوذه وعندئذ ، بامكان النمور المزمجرةأن تعود إلى حظائرها سيكفى ثقل الخوذة كى ينهد الصبى . انه جد رقيق ، ورهيف !

ناسـيا : انظروا ! هناك . . . امام الباب تماما . . . ثمة خطاب يسـقط .

المعـلم : خطاب ؟

زهرة اللؤلؤ : ورقـة مكتوبة .

المعـلم : السماء تكتب لنا ، اقرأى ، ياصغيرتى ، اقرأى . . .

ناسـيا : « يا سكان القرية الزرقاء . . .

نبع الجديان : القرية الزرقاء ! . . . انها قريتنا ، ياللمصيبة !

ناسـيا : « ياسكان القرية الزرقاء ، نحن ساهرون عليكم . اننا قادمون . شددوا قلوبكم . ادفنوا انفسكم ! ادفنوا أنفسكم مثل بذور البقول التى تزرع فيالربيع »

المعـلم بذور البقـول !

ناسـيا : بذور البقول التى تزرع في الربيع . هذا هو مكتوب . في الربيع « فليضع كل منكم على رأسـه من الطين غطاءً . . الحرب مقدسة . الحرب لاتبدأ الا لكى تصل الى منتهاها ، ومع ذلك فالحرب هى اعـدى اعداء الحرب . ادفنوا انفسكم . اننا قادمون » .

المعـلم : قادمون . . قادمون . . ولكن بأى من الجيشـين المتخاصمين يتعلق الأمر ؟

ناسـيا : لا أدرى . الورقة عند موضع التوقيع ممـزقة .

زهرة اللؤلؤ : ألا يجدر ان اذهب لكى احفر في الأرض مستقرا لى ، مثل بذرة بقول في الربيع ؟

المعـلم : جان . . ما شأنك والحفر ! كنت اعتقد انك تفضل

ان تسمعني اروى لك حكاية الفيلسوف الكبير الذى لوى قدمه كى لا يسحق بها على الارض خنفساء .

نبع الجديان : انا لا أريده ان يذهب ليحفر . قد يراه الضباط ويأخذونه منى .

ناسيا : النمور قادمة . اسمع الزهور المرسومة على الستار تصرخ .

(موسيقى)

نبع الجديان : اسمع الاشجار المنقوشة على القنينات تبكى .

(موسيقى)

زهرة اللؤلؤ : اسمع حيوانات لعبة السادسة والثلاثين تنوح وتتعذب

(موسيقى)

المعلم : انتم مجانين ، كلكم . بالخارج ، ربما كانت الطبيعة ترتعد ، اما هنا فكل شيء يظل ساكنا متوازنا . ومع ذلك . . .

ناسيا : أوه ! اعرف ماستقول . ستقول ان العصفور ، عصفورك الجميل ، عصفور الامل والقدرة . . .

المعلم : كلا ، ياصبية ، كلا . سأقول انه لن يحدث لنا ما هو اسوأ من اننا ولدنا ! فلنلعب . . .

نبع الجديان : نلعب ! . . . منذا الذى يتحدث عن اللعب . . . لعلى مجنونة . . . كل القرية اندثرت . الارض التهمت شعبنا . انا نفسى خبأت اخر عنزاتى .

زهرة اللؤلؤ : المسماة « شمس الالبان » .

نبع الجديان : اجل ، مسكينتنا شمس الالبان . غطستها في الارض ، كما لو كانت الارض بحرا . ماعاد يُرَىَ منها سوى طرف قرنيها بمـا يسمح لها ، لهذه المسكينة ، ان تتنفس . حتى ضباط الشرطة ، آه من هؤلاء ! . . حتى ضباط الشرطة ، دبروا لأنفسهم ثقوبا وحفرا . وانتم ، في هذه الاثنـاء ليس حتى بين اسنانكم قليلا من الطين ، عما تتحدثون ؟ عن اللعب ! هذا جنون ! هذا جنون ! اسرعوا ! اسرعوا ! يجب ان نختبيء . يجب على الاخص ان نخبيء ابني الصغير .

المعـلم : هدئى من روعك ، ياجارتى . . . هدئى من روعك . .

نبع الجديان : اهدىء من روعى . . . ان لحيتك بلغ بياضها منتهاه منذ وقت طويل ، حتى لم يعد لها الا ان تسـوّد من جديد . . . ولكن ابنى . . . حذار . . . ثمة شخص قادم . . ربما كانوا الضباط . . . بسرعة ! بسرعة ! يجب ان نخبئه . في حشيتك ، يابنيتى ، في حشيتك .

ناسـيا : غير ممكن هذا . . انها ممتلئة تمـاما . .

نبع الجديان : اذن ، خبئيه في الدولاب .

ناسـيا : والدولاب ممتليء بدوره . بالارز ممتليء .

نبع الجديان : ايتها الصغيرة القذرة . يامن تبدين كما لو كنت تزنين كل شيء ، انك لست صالحة حتى ان تجدى في بيتك او تحت مئزرتك الشق الذى يناسب ان يهرب اليـه ابنى ! جان ، يابنى ، ليتنى لم افطمك حتى كنت استطيع الآن ان اخفيك تحت مئزرتى . لمـاذا لم تبق

جنينا في بطني . ما اسرع ان يكبر صغارنا . آه ، لو امكنني ان اخفيك ، وانت نابض بالحياه داخـــل رأسي ! بسرعة . استتر خلفي . ثمة جندى قد اقبل . (يدخل هوج) سيدى ، انت ضابط شرطة ؟

هـــوج : أنا ؟ ضابط ؟ وبالشرطة ؟ . . . انا قائد . . قائـــد معركة حربية . لو كنت تفهمين معنى هذهالخزعبلات ولكنى ، كما ترينني ، فقدت جنودى . يفقد القواد جنودهم دائما ، يوما أو آخر ، سوف تقولين لى ... إن المعركة تحتاج الى الكثير منهم ، اما انا ، فأقـــول لك انني فقدت جنودى في سحابة من الدخان . كنا نسير . . واذا بالسيقان المقطوعة تتطاير في الهواء . . . والرؤوس تشتعل مثل جوز الصنوبر . . . كنا نطلق النيران . . . فترعد الأرض . . وقد حدث هـــذا منذ اسابيع . . . وفجأة ، وجدت نفسى وحيدا ، في الخواء ، وبلا جلبة من حولى . . . ثم رأيتبيتكم . . . سليما ساكنا . . انها اعجوبة من الاعاجيب ، حقـــا .

المعـــلم : كما لا بد أن لاحظت ، ياسيدى ، اللافتة ذاتها تقول ذلك « اعاجيب » انى بائع اعاجيب . انظر ! ماذا تفضِّل ؟ ماذا تختار ؟ صحفة الحساء هذه المزينـــة بحمائم لازوردية واشجار اللبلاب ؟ ام هذه الآنيـــة المستطيلة المرتجفة التى صُنِعَتْ كلٌ منها من أجـــل زهرة واحدة ؟ سوف اخفض لك الاسعار . . ماالذى يروقك ؟

هـــوج : سأجلس . انني اشهق من شـــدة التعب .

المعـــلم : اسرعي ! يا ناسيا ! اسرعي ! احضري كرســـيا للكولونيل !

هـــوج : انني اشهق من فرط دهشتي . . كيف يحدث هذا ! البلـــد كله ، يجلجل بأنات مضحكة ، وينبـــح ، ويرتجف في حضن الرعب . وانا شخصيا تورمت يدي لفرط ماقلبت سيفي الذي ينثر ومضات البرق ، بينما أنت هنا ، ياصاحبي ، تعرض على آنية مرتجفة ! لا اعرف ما اذا كان على ان انفجر من الضحك ام ان أُلْجِمَ لسانك .

المعـــلم : تلجم لساني ؟ ولكن لمـــاذا ؟

هـــوج : كيف ؟ إنك تجهل الاحداث التي لاتكفكف من شرها ، وتقع من حواليكم . المعارك تتلو المعارك . ان البلاغات واعمال التخريب تتكوم جنبا الى جنب. هذا هو مايجري . . . يبدو عليك انك لاتعبأ بالأمر ، وفضلا عن ذلك ، فانك تهـــزأ من الأسس العلمية . ان أصغر القواد شأنا يضني نفسه ليل نهار في حساب مقاييس مرمى مدافعه الثقيلة أو الخفيفة السريعة ، بينما انت بين خزفك كأنما تسبح في سفينة دون ان يمسّك ادنى خدش . كان يجب ان تعلو وجهـــك مسحة الخجل !

المعـــلم : لكن اهو خطئي ، ياسيدي ، اذا كان مخزني لاتطوله طلقات المدافع ، فهي على الدوام تلقى قذائف اما لاتبلغه واما تتجاوزه .

هـوج : اتهزأ الآن بالمدافع ؟ هل تجرؤ على ذلك ؟ هذا غـير معقول ! غير معقول ! افضل ان اتمدد بضع دقائق على هذا الحصير حتى لايستشيط غضبي .

(يرقـد هوج)

ناسـيا : انظر ، يازهرة اللؤلؤ ، انظر . . . كم هو ضخم الجثة . سلاحه يبرق كالفضة . نام . يمكنك ان تخرج من خلف ظهر والدتك .

نبع الجديان : حذار ! هذا ضابط آخر ! جان ، عد ! فات الوقت ، فقد رآك . . .

ناسـيا : من الخوذة الى المهماز ، الثانى يشبه الأول . ياله من يوم أغـبر ، من يوم أغبر حقا !

(فقرة موسيقية قصيرة تعلن عن دخول هوم)

هـوم : تحية لكم . ألم ينهدم بيتكم بعد ؟

المعـلم : اغفر لنـا هذا الذنب .

هـوم : ومع ذلك ، كل مكان منهدم مستو بالارض بـلا استثناء ، مجتث ، وبقيت الأرض ملساء كبشرة الجبين او باطن القدم . ولكن ما عمل هذا الصـبى الذى يمسك الفرشاة في يده ؟ لـماذا لم يجند هـذا الصبى ؟

المعـلم : انه صبى المحل .

نبع الجديان : صـدره ينقصه الاتساع المطلوب .

هـوم : وما عملك على وجه التحديد ؟

زهرة اللؤلؤ : عملي . . عملي ان . . ان اكنس ، اكنس الدكان ، وانفض عنه التراب ، ياسيدى .

هـــوم : عمل رائع ! رائع ! ينفى كل اعتراض عليه ! تنفض التراب ، ذرة تلو ذرة ، عن اطباق الحســـاء اللامعة هذه ، بينما كوكبنا ينفجر ويتخبط . رأسى تدور . شُلّت ذراعاى .

المعـــلم : زميلك ، ذلك الذى هناك . كان يقول انه يشهق من شـــدة التعب .

هـــوم : سوف ارقد الى جواره . انى مرهق . تورمت يدى لفرط ماقلبت سيفى الذى ينثر ومضات البرق .

ناســـيا : استغرق في النوم فورا . يبدوان مثل شجرتين ، من ايام ان كان ثمـــة شجر . يازهرة اللؤلؤ ! ايه ! يازهرة اللؤلؤ ! سيقتضى منك الأمر ان تشرب الكثير من الحساء العسكرى كى تصبح في ضخامة هاتين الشجرتين القويتين . تنبت في سيوفهم اشواك لامعة . سوف تطقطق دروعهما اذا ماربتُّ عليها باظافرى . (موسيقى) سأذهب لأخلع عنهما هذين السيفين الثقيلين ، وسيضحى نومهما اكثر هدوءا . آه . كم يشدنى هذا المعدن الصلب ان المســه !

المعـــلم : ناسيا . . . يابنيتى الصغيرة . . .

ناســـيا : كنت بنتك الصغيرة أمس . . اما اليوم فانا شـــابة مليحة .

المعـــلم : ناسيا ، يابنيتى الصغيرة ، هذه الأسلحة مليئـــة

بالعذاب . فيها يتجمع الشقاء ويتركز ، متأهبا ان يثب الى الجسد التعس .

ناسيا : لا أقول غير ذلك . . . لكن هذين المحاربين فتيان وسيمان ، حقا . . .

زهرة اللؤلؤ : ناسيا ، لو مضيت في كلامك ، ساصفعك ، وسوف ترين .

ناسيا : انت ، تصفعني . اتسمعون ؟ وانت اذا مضيت في ذلك سأطبق بفمي على فمك لتخرس . انتظر !

نبع الجريان : مهلا ، مهلا . . . لو حدث ان استيقظا . . .

زهرة اللؤلؤ : ايتها الدودة الوقحة !

ناسيا : ايها الكتكوت المرتعد !

المعلم : ياولدى ، ياصغيرتي . . . سوف تهشمان العصفور . اني امسك بها . وانت امسكي به ، ياسيدتي . . .

هوج : (يستيقظ منتفضاً) اطلقوا النار ! ياجنود الفرقة الثالثة ! اطلقوا النار ! صوبوا الى الامام ! في البطن !

هوم : (بالمثل) اطلقوا النار في كل مكان ! ياجنود الكتيبة الاولى ! دمروهم ، اسلخوهم سلخا !

المعلم : ايها السيدان ! ايها السيدان ! لاتنزعجا ! . . . انكما لدى تاجر الخزف . . . كان الطفلان يتشاجران . هذا كل ما في الأمر . . .

هوج : كنت احلم . . . اخذني صياحهما على غرة .

هوم : لم أنم نوما قصيرا بهذا العمق قط .

(من المناسب ان تعزف نغمة موسيقية تلازم كلام كل من هوج وهوم ، وتختلف للتمييز بينهما) .

المعـــلم : حاولت ان اسكتهما .

نبع الجديان : لاشك ، انه كان الأجدر بنا ان نخبئهما في باطـــن الأرض .

هـــوم : كلا . . . بالطبع كلا . . . هذه الصبية المزهرة في مكانها المناسب امام عيني . ياكولونيل ! . . . أليس ذلك من رأيك ؟ يالها من متعة لنا نحن الاثنين !

هـــوج : اجل ، يالها من متعة ! لكن ياللتعاسة ، ياكولونيل ، ياللتعاسة ، مادمنا قد رأيناها ، فما اصعب ان نموت. كولونيل ، حان الوقت على ما اظن ، كي نعود الى اعمالنـــا ؟

هـــوم : اظن ذلك ، ياكولونيل ، حان الوقت .

ناســـيا : لكن كيف يُعْرَفُ الكولونيلات ؟

هـــوم : لكل كولونيل رسم سنجاب مطرز على القلب .

ناســـيا : ينام احدهما ، فينام الآخر . ينهض احدهمـــــا ، فينهض الآخـــر . الاثنان متماثلان كمـــا تتماثل خوذتاهما الثقيلتان . كلاهما طُرِّزَ رسمُ السنجاب على قلبيهما ، ولكن دعاني اتأملكما . . . استديرا . . . استديرا قليلا في الضوء . . . لاحدهما عينـــان بلون العشب .

نبع الجديان : ماعاد للناس وجود في اى مكان ، ياأيها الصغيران المسكينان !

ناسيا : للآخر عينان سوداوان . . . ولكن كلا . لعلى مجنونة . . استديرا . . . هل يجب ان يكون الكولونيلات ، مادمتمامنهم ، متماثلين من الرأس الى اخمص القدم ، وفي لون العينين ايضا ؟

هوج : ليس ذلك لزاما ، يا آنسة . . .

هوم : ليس لزاما ، ولكن ليس في ذلك ما يتعارض مع النظام .

المعلم : على الرغم من أني لا افهم شيئا في فن الحرب ، كما يقولون ، فاني ، ايها السيدان اعجب بالشبه الدقيق بين شخصيكما الرهيبين . ما انتما سوى ضابط واحد انعكست صوته على سطح مرآة .

هوج : إن المشاة ، ياصاحبي ، مثل الخزف .

هوم : انموذج واحد يتكرر آلاف المرات .

هوج : ولكن مشغولاتك تخرج من النار ، بينما نحن . . .

هوم : نحن الى النار نذهب . واليها نذهب وعلى شفاهنا اغنية .

ناسيا : اغنية « كيتي » اراهن على ذلك .

هوج : أتعرفينها ؟

ناسيا : إننا نرددها كما نردد أنفاسنا .

هوم : غني ، اذن ! غني معنا !

(أغنية)

هوج

(١)

في المدينة الكبيرة ، هناك ،

على طول القناه ، تحت اشجار الكستناء ،
قبلاتي الأخيرة اضحت آخر القبـــلات ،
وضممت الى صدرى قلبك بين ذراعى .
(قرار انشاد جماعى)
صديقتى الجديدة
ستحتفظ بي على الدوام ،
بعيدا ، بعيدا عنك ، فاغفرى لى
ياكيتى ، يامن انت حياتي .

هـــوم
(٢)
في المدينة الكبيرة ، هناك ،
امام محطة المترو ، على مقربة من الاوبرا ،
لن ألومك ، اذا لم تنتظريني
ستجدين السلوى مع رجل آخر .
(قرار انشاد جماعى)
صديقتى الجديدة ،
ستحتفظ بي على الدوام ،
بعيدا ، بعيدا عنك . فاغفرى لى ،
ياكيتى ، يامن انت حياتي .

(الجميع)
(٣)
في المدينة الكبيرة ، هناك ،
تجرى الاوتوبيسات الخضراء على الكبارى .
سوف تضيعين وقتك ، لوكنت تردين على .

الأجدى بك ، ياحبيبتى ، ان تذهبي لتشترى لك
لك جوارب .

(قرار ، انشاد جماعى)

صديقتى الجديدة ،
ستحتفظ بي على الدوام ،
بعيدا ، بعيدا عنك ، فاغفرى لى
ياكيتى ، يامن انت حياتي .

المعلم : ما أغرب شأنكما ، ايها السيدان . ان تتخليا عن عن السعادة التى تتغنيان بها اجمل غناء . من اجل ماذا تتقاتلان ؟

هوج : من أجل ماذا ؟ ألا تقرأ الصحف ؟ ان الناس على الجانب الآخر ثعابين .

هوم : كلاب . . . نسور . . .

هوج : تماسيح ، عبثيون .

المعلم : هل تتمنيان حقا ان يهلكوا جميعا ؟ اتعتقدان انهم من طبيعة مختلفة عن طبيعتنا ؟

هوج : هوج !

هوم : هوم !

ناسيا : لماذا يقول احدكما : هوج ؟ ولماذا يقول الآخر : هوم ؟ لماذا لاتقولان انتما الاثنان اجل ؟

هوج : في بلادى ، التى تحميها الآلهة ، كى نقول اجل نقول : هوج !

هـــوم : في بلادى ، التى هى اقوى البلاد ، واكثرهـــا أنفة ، كى نقول أجل نقول : هـــوم!

هـــوج : هوج ! ايها القذر السافل ! سأنسقك نسفا !

هـــوم : هوم ! يا ابن ظبية نافقة ، انتظر حتى امزقك !

المعـــلم : ياصديقى العزيزين ، لا تتحركا . ابقيا ممددين جنبا الى جنب .

ناســـيا : اوه ! يازهرة اللؤلؤ . انهما ليس من معسكر واحد . سيهجم احدهما على الآخر .

المعـــلم : لكل منكما هذا الدرع الذى يعلوه غبار المعركـــة . ولكل منكما السنجاب المطرز على القلب . لـــكل منكما الاسلحة ذاتها التى للآخر . روحكما متماثلة . ياسيد هوج ، وانت ياسيد هوم ، مامن شيءجوهرى يفرق بينكما سوى طريقة نطق كل منكما كلمـــة اجل ذات المقطع الواحـــد .

هـــوج : هـــوج !

هـــوم : هـــوم !

هـــوج : بسرعة . . الى بسيفى . . . انى بحاجة اليه . . .

هـــوم : حالا . . . هنا . . . الى بسيفى . . .

ناســـيا : ساعدني ، يازهرة اللؤلؤ ، انه ثقيل . . .

هـــوج : هذا الفتى الناعم يخشى ان يلقى بانظاره الى سيفينـــا الظافريـــن .

هـــوم : تفضل ، ياولد ، ان تتحسس اباريق الشاى الـــتى

يصنعها عمك العجوز من ان تفعل مثل كل الناس ،
وتجازف بخوض المعركة .

المعــلم : انه لا يعرف من الحياة الا الخزف والفلسفة . .

هــوج : الخــزف !

هــوم : الفلسفة !

هــوج : وعلى ذلك ، فانه لايعرف ان النمور المزمجــرة
تتكون من . . .

هــوم : من خطوط مفصليــة . .

هــوج : من شوارب رنانــة . . .

هــوم : من مخالب وليدة معادلات جبرية . . .

هــوم : من انياب مكهربة . . .

ناســيا : زهرة اللؤلؤ ، ماذا يكون ظنى بك بعد ذلك ؟

نبع الجديان : انه ليس طويلا ولا بدينا . وصدره صدر حمامة .
آه ! حمائم الايام الخوالى ، لذيذة الطعم في طبــق
من البقول .

المعــلم : أوه ! ياللتعليقات البشعة المفاجئــة !

نبع الجديان : جوعنا شديد !

هــوج : ما من صدر يبلغ من الضيق مايمتنع معه العثور فيه . .

هــوم : على موضع لطعنة أو لوسام .

ناســيا : ألا تخجل ، يازهرة اللؤلؤ . . ألا تخجل . . .

هــوج : سأذهب لأنضم الى جنودى ذوى الخوذات ، هؤلاء

عندما يتاح لهم ادني وقت للفراغ ، يمارسون على هواهم التدريب ، بان يسددوا بسيوفهم الطعنــات الى انرمال . من اجل تقوية ايديهم . يالهم من فتيان خشنين ! هــوج !

ناســيا : يازهرة اللؤلؤ ، سينتهى بك الأمر أن تجعلني اكرهك

هــوم : اما رجالى انا ، يازميلى ، رجالى انا ، فبإمكاني ان اقول لك دون ان اخون قضيتى ، وصل بهم الامر الى ان يقذفوا الجليد بالقنابل ، تصور ! من اجــل المتعة . الجليد ! . . . من اجل المتعة . . .

ناســيا : يازهرة اللؤلؤ ! لن اكلمك بعد الآن ابدا .

زهرة اللؤلؤ : كفى ! كفى ! إني أنصرف .

نبع الجديان : انك تهذى . كل الآفاق نيران مشتعلة .

المعــلم : جان ، لاترحل . . . سيكرهونك على التعــذيب . جان . ما ابتغت يداك التعذيب يوما .

زهرة اللؤلؤ : سأفوز بخوذة . ناسيا . . . عندما افوز بخوذة هــل ستقبّلينى ؟ خبرينى ، هل ستقبّلينى ، يا ناســيا ؟ هل ستقبّلينى ؟

ناســيا : اى المعسكرين اخترت ، هوج ام هــوم ؟

زهرة اللؤلؤ : اخترت الفوز بخوذة .

المعــلم : لكن لماذا هذا ، ياصغيرى ؟ لمــاذا ؟

زهرة اللؤلؤ : كى تقبّلنى . هاك السبب !

هــوج : ايها الشاب . اهنئك اننا نعطى لعساكرنا القهـــوة

بثلاث قطع من السكر ، واللحم البقرى المملـــح ، بالاضافة الى متر من نسيج الكتان الرقيق ، لتضميد الرأس اذا ماسالت منها الدماء . هوج !

هــــوم : اننا نعطى مزايا من النوع ذاته ، ولكن علاوة على ذلك ، فنحن نقول عندنا : هوم ! ولهذا قيمته .

هــــوج : لحظة واحدة ، يازميلى ، لحظة واحدة ! يبدو أنك تقلل من فضائل وبهاء صرخة وطنى التليدة : هوج !

هــــوم : أسمح لى . . .

هــــوج : انك على أى حال لن . . .

المعـــلم : أيها السيدان . . أيها السيدان . . ماحاجتكما إلى اثارة حرب هى قائمة فعلا .

زهرة اللؤلؤ : إني أتركك ، يانسيا.وعندما سترينني ،سوف يكون لى خوذة . . . لن يعود لزهرة اللؤلؤ وجود . . . قولى لى . . . هذا وعد .

ناســـيا : أعدك ، يازهرة اللؤلؤ . . أعدك .

نبع الجديان : لاترحل ، ياجان . . لاترحل . . ياجان . . .

هــــوج : وداعا ، أيها التاجر ، وداعا أيتها الدمية .

هــــوم : وداعا ، ياصاحبى . وداعا ، ياسمراء . .

ناســـيا : يازهرة اللؤلؤ ، اجر على الأرض مرفوع الذراعين

المعـــلم : تتمثل الراحة الحقة ، آخر الأمر في أن يجرى المرء ، أن يجرى دون أن يعرف إلى أين يجرى ، ولأنه يجرى . ان طبول الدماء تخنق الألم .

ناســـيا : أمه من خلفه، تسير متعثرة في خطاها. يمشي الضابطان ببطء ، الكتف لصق الكتف . وكم هما عريضان كم هما عريضان ! أوه ، لقد أفترقا ! أمسك كل منهما بسلاح في يده . يبتعد كل منهما عن الآخر . هذا يذهب نحو الجبل ، وذاك نحو النهر . ماعدت أتعرف في غـــلالات الدخان لاعلى هـــذا ولاعلى ذاك . عتّمت السماء باسراب النمور المزمجرة . تعود السيدة نبع الجديان . تسير مثل بهيمة .

نبع الجديان : ناسيا ، أنت ، يأيتها الضفدعة العطنة ! أنت . . . . أنت السبب . . لو كانت لى أسنان ، لغرستها في ردفيك . بردفيك دفعته إلى مافعل .

ناســـيا : سينال القهوة بثلاث قطع من السكر ، واللحم البقرى المملّح ، ولفافة الكتان ، والخوذة . . .

نبع الجديان : الخوذة . . . آه ! شىء قذر ! لأنها شابة ، لأنها جميلة ، تعتقد أنها شابة ، وتعتقد أنها جميلة . لكننى أكثر شبابا منك ، أنا ! على الرغم من شعرى الأبيض فان الحب بداخلى أنا . أكان يجب أن تلفى ابنى بجدائل شعرك ، وأن تغرقيه في بحيرة ثغرك ، وأن تستهويه بأنوثتك الحيوانية ؟ وددت لو كنت امرأة أخرى غير أمـــه ! ياللشقـــاء ! يالشقائي ! يـــالشقائي الكبير ! اجـــرى ابحثى عنه . اجرى ، أيتهـــا الجرادة !

المعـــلم : جموع الناس تنسكب على الطريق مثل الماء . جموع

الناس تسيل مثل مثل نهر فاضت مياهه ! إنما الآلام للجميع .

نبع الجديان : الآلام آلامى أنا وحدى .

المعــــلم : أسمعوا . . .

الكورس

يجب أن نسير
في البرد . . . والحر
نحو السوق . . .
نحو السكين . . .
امش على رقبتك .
امش على ذراعيك .
لن تمشى
أبدا إلى النهاية .

صــــوت : هيه ! يابائع الخزف . . . هل تأتي ؟ تغيرت الأوامر على كل الناس الآن أن يخرجوا من باطن الارض .

نبع الجديان : أنت ، ياأيها المار ، ألم تر ابنى ؟

صوت : ابنك ؟ آه ! ابنها ! ماذا تظن هذه ؟ الابناء جميعا أين هم ؟ لم يبق من الابناء أحد. مامن ابن واحد بقى

الكورس

لابد أن تمشى . . .
من يدرى إلى أين . . .
الغفران مخبوء
والخطر في كل شبر .
امش على قدميك . . .
امش على يديك . . .

ولن تجد .
الطريق إلى الأبد .

نبع الجديان : سمعتموهم ! لن أرى ابنى أبدا . أنت يامعلم ، ماذا تعلّم ؟ ان لحيتك جوفاء . يتصور المرء أن هذه اللحى دريرة بالحكمة ، ولكن ماأن تجذبها ، ما أن تجذب هذه ، فانها لاتدر قطرة واحدة . واني ، منذ الآن فصاعدا ، لاأتحرك من مكاني . سأنزوى في ركن . سأعود إلى التراب . وأنت يافتاة ، يامن تلغين في الوحل ! فيما انتظارك ، اذهبي وتمرغى في أحضان الجموع .

ناسيا : سأذهب . اذا كنتُ كل هذا الذى تقولين فلاكن كذلك ! سأذهب أبيع إلىالمارة بضع حفنات من الارز . سأنال ، أقسم لك ، من المال مايعادلوزني

المعلم : ياصغيرتي ، ماذا ستفعلين بكل هذا المال ؟

ناسيا : الارز يجلب المال . والمال يجلب الأرز .

المعلم : قد يحاصرك جنود في الحارة أو بين الخرائب .

ناسيا : وماذا بعد ؟ إننى بلا قلب . هذه العنزة قالت ذلك . لكن اطمئن . اطمئن. سأحافظ على مالنا وأرزنا ، ولن يمسه سوء . أما أنت فاطلب إلى عصفورك أن يساعدك . يالها من حماقة !

المعلم

ياسيدى العصفور ، يامن تسمعنى
منذ اليوم الذى صنعتك فيه ،
كل اولئك الذين يتعذبون في الطرقات

يجب أن يشفوا مادمت على قيد الحياة .
يأيها الشيء المخيف الخالص ، يأيها العجيبة الهائلة
شكّل فيك الاغنية من أجل الحب .
وصد الرعب والجنون بعيدا فلايكون لهما عودة !

متحدثـــا

ياسيدى العصفور ، أجب ، كى أسمع صوتك ،
فلينطلق صوتك وليمنح الشفاء .

نبع الجديان : ان رأسك أشد طراوة من ثمرة عطنة .

المعـــلم

غن ، أيها العصفور ، غن ! وليتحقق
العقاب الذى لا اسم له .
وليحطم صوتك الكابوس
الذى ندور فيه .

نبع الجديان : امرأة تسقط ! . . .

المعـــلم : غن ، ياسيدى العصفور !

نبع الجديان : بنتك الأفعى ، باعت ارزها . تقلّب بين يديها مالاوفيرا .

المعـــلم : تبخر اللاجئون مثلما يتبخر العرق ، عم السكون كل الارجاء . وصارت صحراء . واستحال ابنى جنديا . وتريد ابنتى أن تصبح غنية . والعصفور لم يغرد .

ناســـيا : أنا ، أغنى . ليس لى من العمر سوى ستة عشر ربيعا ومامن جندى قطع لساني .

(تغنى)

كان الكرز وشقائق النعمان

حلية تجمل المكان
ولكن ماقولكم في صدر من فولاذ ،
لفارس يحمل شارة من ذهب ؟
أين تذهب الآنسة ؟
تترك المنزل
تمزق النقاب !
وتحرق جدائل شعرها !

المعـــلم : من أين جئت بهذه الأغنية ؟

ناســـيا : يغنيها الجنود في كل مكان .

(تغني)

المشغولات الخزفية والستائر
احتفظنا بها كما يحتفظ بالكنوز
ولكن ماقولكم في النمور العالمة
التي تطير وتقل أناسا على ظهورها ؟

المعـــلم : بالامس كنت ، ياصغيرة ، بالامس كنت تناغين دميتك .

ناســـيا : نار الحرب تنضج النساء . كسبتُ بأرزى في أمسية واحدة أكثر مما كسبته باطباقك منذ أن بدأت العمل

(تغني)

بنغمات المندولينة والهارمونكيا
تعلو دقات قلوبنا
لكن ماقولكم في صليل
الكلاب المعدنية التي تنبح معا ؟

أين تذهب الآنسة ؟
نبع الجديان
إلى جمرة النار ،
وتهب جسدها .
(صائحة)
من أجل كل الجنود .

المعـــلم : إني متعب .

نبع الجديان : ماعاد عندك ماتقتات به . ذهب العنكبوت بكل شيء

المعـــلم : إني متعب . هذا العالم كتلة من الشقاء . يجب أن ينفجر في النهاية ! (أصوات مدافع رشاشة وقذائف منهمرة)

نبع الجديان : الحرب تنعق .

ناســـيا : إنها تموء .

نبع الجديان : هناك بروق .

ناســـيا : تشققت الأرض . وامتلأت بحفر عميقة .

المعـــلم : العالم مع ذلك باق هناك . البروق والشقوق والحفـــر هي النسيج الذى يتكون منـــه العـــالم . يعجبني في مشغولاتي الخزفية انها تعرف كيف تسلم من الخدوش يامشغولاتي الخزفية ، انت يارفيقاتي ، ويا اخواتي ، لاعمل لكن إلاّ ابرازكن — بفضل المقارنة بـــين النقيضين — مافي الشر والشقاء من دمامة .

نبع الجديان : سيظفر الناس بالأشياء ، وستظفر الأشياء بالناس . ولا شيء سيبقى لأحد .

المعـــلم : وانت ، ياسيدى العصفور ، يامن انت اكثر وضاءة من لازورد النجوم . . ولست أقل قيمة وقــدرة على التوازن والتصميم من أجنحة الطائرات السفاحة . انت ، ياسيدى لم تطلق رنين صـــوتك الذى يجلب العزاء . لست سوى قليل من الطين وقليل من طـــلاء خزفى . ان روحى ابدعتك ، ويدى شيدتك . ولا زالت ليدى القوة التى تدمرك .

ناســـيا : جدى . . . انت مجنون . . . بالطبع ، انه لايغنى . . . ولكن بامكانك ان تجعل منه حاملا للسكاكين . هلا تركته وشأنه . . . هلا تركته ! . . انك ترى انى اقوى منك (يدوى صوت نفير عسكرى) النفير ... نفير جيش هـــوج !

المعـــلم : جنس غريب حقا هؤلاء البشر . . جنس غريب . . . يسلخون اذنيك بمحركات نمورهم الهوائية ، وفجأة ، مثلما كان الامر ايام الملك ، مثلما كان الامر ايام الكاهن ، يشرب جندى رافعا كوعه ، لعابه من نفيره .

(يُسْمع نفـــير آخر)

ناســـيا : انه نفير جيش هوم ، هذه المرة .

المعـــلم : هل تحولت حربهم عديمة الرحمة الى حفل موسيقى ؟

ناســـيا : انهم آتون . بعت ارزنا بثمن اعلى من سعره .

المعـــلم : تحت وطأة الرماد العسكرى ، يبقى على الدوام ، وفي الواقع ، سجل الجابى وصورة الشريك مقـــدم رأس

المـــال . اتكلم عن الأمور مثل جعجاع . . . (جلبة معدنية) أليس هذا التميز بالنياشين التى ترن على الصدور ؟ (أوامر عسكرية ، صليل اسلحة) فـــرو . . . فيا . . . برو . . . بروبيا . . . برو . . . هوج !

ناســـيا : ياله من نابهة . . . ياله من عملاق ! تتلألأ على خوذته انجم بعيدة التقطها منظار بالألوان الطبيعية .

هـــوج : (يدخل) تحية ، ياقوم ! هل تذكرونى ؟ زرتكم منذ ايام قلائل . انا الجنرال هوج .

المعـــلم : ســـيدى !

هـــوج : سيدى الجنرال ، من فضلك . هكذا يجب ان تنادينى . من الآن فصاعدا الأرض كلها تحت القبعة العسكرية . سوف نقوم ، انا وزميلى هوم ، وقد سبق ان رأيتموه بدوره ، انه أفضل اعدائى ، سوف نقوم بعقـــد اجتماع ، فى هذا المكان . لمـــاذا اخترنا بيتك ؟ انه الوحيد الذى يقف على قدميه . تصور ! الا تعرض على بضاعتك الرديئة اليوم ؟ ان رصيدى مرتفع .

المعـــلم : ان حماستى للتجارة هبطت ، ولكن لو أردت هذا العصفور الصموت الخداع ، فانى اعطيه لك . خذه .

هـــوج : ماذا افعل به ؟ لست صياد عصافير . شكرا . هيه ! هذه الصغيرة ناسيا . . . كم نَمَتْ وترعرعت . يخيل الى انى سمعت صليل اوسمة . (اوامر عسكرية صليل اسلحة) ستروم . . . ستى . . بريا .. هوم !

هـــوم : انا الجنرال هوم . يسعدنى ان اراك من جـــديد . دعنى اشـــد على يدك .

هـــوج : لاتشد عليها بقوة . يمكنك ان تصدقنى ان شئت ، تورمت يدى من كثر توقيعى لأوامر بالهدم .

هـــوم : لمن تقول هذا ! انا شخصيا كان على أن أربت عديدا من المرات على ظهر النمور المجنّحة حتّى تخشّب ذراعى ، لكن هذه متاعب صغيرة .

هـــوج : اصبت القول . (بلهجة رسمية خطابية بعض الشيء) لمّا كان كل منا قد تلقى توكيلا من حكومته ، فاننا نتتهز هذه الهدنة كى نطرح . . . معذرة . . . كى نطرح اسس اتفاق . لكن كما تعرف ليس امامنـــا سوى الوقت الذى تحتاجه نملـــة لتطوف بقنبلـــة يدوية . ياجندى المراسلة ! ايه ! ياجندى المراسلة ! . . . الديك الحشرة الصغيرة ؟ اطلق سراحها . المفاوضات تبدأ . كانت فرصة ان وجدنا نملـــة حية في هذا الريف الذى حل به الخراب .

هـــوم : أحدثنا ، حقا ، كثيرا من الدخان حتّى ماعدنا نتبين شكل الأرض ، ولا الدوافع التّى دفعت الى هـــذا الدخان ، قل لى ، اليس من اجل المستنقعات عنـــد انعطاف المجرى جئنا الى كل هذه الضجة . ؟

هـــوج : مستنقعات عند انعطاف المجرى ؟ مستنقعات عنـــد انعطاف المجرى ؟ من المحتمل هذا . استولى على الاعتقاد لحظة ان الامر تعلق بغابة اشجار السندر ،

ولكن عندما فكرت في الامر وجدت انك على صواب تماما . انها المستنقعات !

هــوم : المستنقعات وحق الآلهة جميعا . والآن ، هــذه المستنقعات الشهيرة ، لمــاذا تطالبون بها ؟ كل امرىء يعرف انها ترقد في سلتنامند ايام التنانين غليظة الجلد .

هــوج : معذرة ! معذرة ! ارجع الى أى مؤلّفٍ في التعدين . ارجع اليه ! ستجد ان المستنقعات عند منعطف المجرى جــزء من ارض جمهوريتي هوج . على اننا لن نطرح كل شيء على بساط البحث . انالمستنقعات عند المنعطف ، في هذه اللحظة ، زاخرة بالدبابات والمزاريق والدروع والخوذات الحديدية وعظــام الجماجم ، وبذلك دبت فيها العفونة والعطن .

هــوم : ارضها صلبة تدق عليها الكعوب كأنها تدق على رصيف في ميدان . ان موقع المستنقعات ينــاسب بشكل رائع ان يقام عليه ملهى .

هــوج : اى ملهى ؟

هــوم : ملهى من ملاهى الليل ، اذا راق لك ذلك . وبامكاننا ان نفتتحه تحت اعلامنا المتصالحة . سوف يكون هناك رقص ! وهزليات ! ومشروبات مجــدِّدة للقــوة !

هــوج : اما انا فأفضل ان ارى مكانها جامعة عالمية الاهتمامات تكرس جهودها لتضفى على الجغرافية مسحة اخلاقية.

هـــوم : فكرة ممتازة ! وانى اعجب بوفرة الاحتمالات الفياضة التى تتاح للنشاط الانسانى .

هـــوج : وفضلا عن ذلك يمكن ان نمزج بين فكرتينا . . . بين الملاهى ومعاهد العلم .

هـــوم : افكر في رقصـــة الخطوات الأربعة .

هـــوج : بل في المقاطعات الاربعة . . .

(موسيقى ، يقطعها فجأة ضوضاء وصيحات)

هـــوم : ما هذا ! ما الذى يجرى ؟

هـــوج : أمـْرَنا بألاّ يزعجنا أحد . ماذا يريد هذا الجندى ؟

زهرة اللؤلؤ : ياناسيا ! يامعلمى ، ياأمى !

نبع الجديان : ابـــنى !

زهرة اللؤلؤ : (مصاب بجرح قاتل) فزت . . بالخوذة ، ياناسيا ! فزت بالخوذة . نادينى بجان .

ناســـيا : جان ، تبدو في احسن مظهر . يالك من رجل وسيم ، ياجـــان !

نبع الجديان : ابـــنى !

زهرة اللؤلؤ : فزت بالخوذة ، ياناسيا ، كما في التصاوير . انتهى « زهرة اللؤلؤ » انتهى !

هـــوج : انه جندى من عندك .

هـــوم : وكيف نعرف ! جنودك وجنودى مظهرهم واحد .

هـــوج : قماش زى الجميع خشن ينطبق على اجسادهم فتبدو ملامحها حتى كأنهم عراة .

هـــوم : انه يترنح . . ينهـــار .

هـــوج : اعتقدانه انتهـــى .

نبع الجديان : يابنى . لقد جريت . يابنى ، انك ترتعش .

زهرة اللؤلؤ : حاربت . آه ! هناك ! هناك ! حاربت . كان ثمة مسامير تنفذ من كل الانحاء في الرخام من حولنـــا . زحفت . هربت . قفزت . اما الآن فأتوق الى النوم. يا اماه ، غنى لى .

نبع الجديان

(تهدهـــده)

ثم قليلا
السمكة الحمراء في زجاجتها
تشترى لنفسها حلة رسمية تلبسها عندما تمطر
ماعادت تحب لباسها الأحمر .
مثل النـــار
ومن الآن حتى الغد لولم تحرك ساكنا
سوف تراها بملابس زرقاء

هـــوج : تمضى النملة في متعرج على استدارة القنبلة اليدوية ، ومن ثم ستكمل دورتها . ونحن لن نكون قد قررنا شيئا .

هـــوم : جندى المشاة هذا ، على وشك ان يلفظ انفاســـه الأخيرة . لن تحتاج المسألة إلا بضع لحظات .

نبع الجديان
سيدثرك فـــرو
السـمـور
كي تتأرجح برفق
في مهدك المطرز .
ضع عليه فراءك
الذى يساوى ذهبا .
وستختفى المتاعب كلها
ما ان ينام الطفل ، بل انه نام فعلا .

هــوج : لابد ان الرجل تلقى في بطنه من الرصاصات ماقيمتها اكبر من قيمته .

هــوم : سيحرر الخصم فاتورة بثمن الرصاصات المستهلكة .

نبع الجديان
تحت النهـــر
ترقص الأفيـــال
على اجفـــان .
الاطفال الصغـــار .
ويَعِدُ الصغـــار
وهم نيـــام
بالا يتبعوا نجما مذنبـــا أيا كان
خارج دائرة امهاتهم الرقيقات

هــوج : انا مات .

هــوم : هـــذا واضح .

نبع الجديان : انه لكما ، يا أيها السيدان ، يمكنكما أخذه ! خذاه ! لم يعد ابنى سوى دمية تلبس خوذة . وفي سنى ، ماذا تريدان ان افعل بدمية ؟

المعــلم : أيتها السيدة نبع الجديان !

نبع الجديان : انتما هنا امامى . انتما الاثنان ، ممتلئان حيوية ، بينما ابنى مات . وددت ان تحادثكما امهات اخريات كما احدثكما انا ! تسمعانهن ، على ما ارجو ، في كل الارجاء ، يبكين . هذه تزمجر ، وهذه تولول ، وهذه تصرخ . الأمر قاس . (موسيقى متنــاثرة النغمات) أتسمعانهن ؟ كل منهن تستجدى ابنها . والابناء يطالبون بمــا فقدوا من اعضائهم . ذراعى ! ساقى ! ركبتى ! كم من حساب عليكما ان تؤدياه . احس بالخوف . احس بالخوف من اجلكما .

المعــلم : اصمتى ، ايتها السيدة نبع الجديان . ليس الجنرالات مسئولين عن الحرب باكثر ممــا انت مسئولة ، ايتها الأم ، عن شهوتك الحسية . مقدَّرٌ على الاطفال ان يخرجوا من الطفولة وذات يوم ، من الحياة .

نبع الجديان : لم يعد لى بيت . لم يعد لى ثديان . لم يعد لى مكان آوى فيه خُطَبَكُمَا . مات ابنى ، وهذان المهرجان لم يموتا بعد . ان شقائى كبير بحجم الأرض كلها . آه ! انتما الاثنان هنا ، تحبان المعركة ! آه ، وتميتان الابناء ! لمــاذا لاتتعاركان مثل الرجال ! لمــاذا لاينقض احدكما على الأخذ باسنانه وقبضتيه ؟ هيا ! ايها السيدانالمستبدان ! اسرعا ! اظهرا لناشجاعتكما !

فليقتل احدكما الآخر ، ايها السيدان ! قررا ، قررا حربكما ، بان ينهش كل منكما عنق الآخر . ماذا تنتظران ؟ هل يجب ان القى عليكما هذه الدميـــة ، هذا الجدى الحبيب الوديع ، الذى من فرط رقته لن يرى نظرتى تستقر عليه ابدا .

هـــوج : سيدتى ، نحن هنا كى ننهى هذا الصراع الذى كانت له ضحايا كثيرة .

هـــوم : نحن نشاركك احزانك . سوف تنالين تعويضا .

هـــوج : تعويض ، ياسيدتى الطيبة ، اربعة اكياس من النقود الذهبية ، صقلتها اصابع اكثر المحاسبين بشاشـــة .

هـــوم : فلتعزف الموسيقى . مادام ان هذه وظيفة الموسيقى ، فلتعزف الموسيقى احتفالا بالمجد وعظمة الحرب والعذاب والحب والغوامض المستعصية على الحـــل التى تسبح حول الانسان .

هـــوج : وانتم ايها الجنود ، انتم ايها الجنود ، من اجل زميلكم انشـــدوا !

الكـــورس

على حـــديد المركبـــة
رن الحســـام .
ايها الجندى ، انها ســـاعة
الفراق الأخـــير .

نبع الجديان : كان هزيلا . كان نحيـــلا .

ناســـيا : كنت اسخر منه بعض الأحيان .

(موسيقى عسكرية)

الكـــورس

الأقـــوى
والأعظـــم
من اســـتبد به
حب المـــوت .

نبع الجديان : كان بالامكان ان يعرف شفتى فتاة .

ناســـيا : أنا أولى الفتيات ، لو كان قد جرأ لتلقيت قبلته .

(موســـيقى)

الكـــورس

السقوط صـــعود .
النـــار ماعادت تلســـع
اخى ، نلت
الســـكينة .

نبع الجديان : يحب الجنرالات الموسيقى كثيرا . سأحمل ابنى الى ناحية المقـــابر . (تحمل ابنها الميت على ظهرها)

هـــوج : سنبعث في رفقتك جنودا .

نبع الجديان : لست بحاجة الى جنود . يكفينى ظهرى . تعـــال ، يابنى ، تعال مع امك . سأنام الى جوارك . ســـنبحر جنبا الى جنب ، وقد ادار كل منا عينيه نحو الآخر .

ناســـيا : ســـأرافقكما .

نبع الجديان : كلا . . . ابقى . . . كلا . . . ابقى معهما . واضح ان افكارهما تتجه نحوك .

هـــوج : بسرعة ، يازميلي العزيز ، بسرعة ! فلنلعب على المكشوف ! عندى خريطة الارض . سوف نبسطها .

هـــوم : عندى ايضا خريطة الأرض . ولكن على خريطتك وعلى خريطتى لاتقع المستنقعات والغابة في المكان ذاته .

هـــوج : هيه ، حسنا ! ستكون الفتاة خريطتنا .

هـــوم : اصبت . الفتاة خريطتنا ! اصبت ! ، استلقى يافتاة على هذا الحصير .

ناســـيا : انا ؟

هـــوج : كونى فخورا . تحت انظارنا ستمثلين الأرض .

ناســـيا : انا ؟

(يرقدان ناسيا على الحصير)

هـــوج : شعرك يمثل الحافة غير المحدودة للسماء التى ترتعش عند الافق .

هـــوم : عذوبة شبابك في مـــد وجزر مثل البحر .

هـــوج : الزهور المطبوعة على مئزرتك تمثل معالم الاقليم . وها هى عطفة المستنقع .

هـــوم : ها هى الاشجار . ها هى الغابة .

ناســـيا : ايها السيدان ، ايها السيدان ، سيفا كما يلمعان فـــوق جسدى . ايها السيدان ، ايها السيدان ، لست من الخزف أو الحجر .

هـــوم : طرف سيفى سيجول عليك مثلما سن الريشة الاسود على الورق .

هـــوج : سيجرى سيفى على جسدك بالشروط التى يمليها قلم حكيم .

هـــوم : تتبع الخط الذى اشقه . انى اخذ ما هو ممتد من هنـــا الى هناك . انى افصل منعطف النهر ، واحتفظ بالوادى ما بين الربوتين الصينيتين وأقتسم الغابة . اتوافق ، ياجنرال هوج ؟

ناســـيا : احس بانى تمزقت تمـــاما .

هـــوج : هذه القسمة ، ياجنرال هوم ، في مصلحتك . انك تأخذ افضل الاجزاء . فليخط طرف سيفى بدوره رغبتى ! انى امنح نفسى المنحنى الواقع بين المرتفعات المكسيكية .

ناســـيا : انى ادمى . ادمى . ادمى .

هـــوج : لن تحصل على بوصة ازيد من ذلك .

هـــوم : العدل بجانبى ، والعرف يؤيدنى .

المعـــلم : انكما تقتلانها . تمزقانها . سيفاكما يعذبان مثل فكين مفترسين .

(موسيقى)

ناســـيا : اتفق السيفان على النفاذ الى القلب . عرفت ان لى قلبا في اللحظة التى افقده فيها . كل شىء يضحى سوادا .

هـــوم : النملة تكمل دورتها . انتهت الهدنة !

(ابواق)

هـــوج : الحرب تزهر من جديد أيتها الأبواق دوى بالدعوة الى الحرب !

(ابواق)

هـــوم : انت ، يابائع الخزف ، ماذا تفعل ؟ لماذا تمسك في يدك العاجية بهذه القنبلـــة ؟

هـــوج : القنبلة قابلة للانفجار ، لاتنس ذلك . وبقوة لاعلاج لها على مدى اربعة آلاف فرسخ . احترس .

هـــوم : احترس !

المعـــلم : رأيت البيوت تتقاطر مهدومة مثل البهائم تحت وقع العصا . رأيت الجموع تجرى مثل نهر استبد بـــــه الخوف . رأيت من يموت . وليس الموت شـــــيئا ذابال . رأيت من يتعذب . ليس من الممكن ، ليس من الممكن ان يكـــون العذاب شكلا من اشكال الخير . فلتنفجر هذه القنبلة .

هـــوج : احترس !

هـــوم : قلت لك احترس ! انها تقتل .

(تنهمر انغام موسيقية بلا قياد صاعدة هابطـــة ، في حركة لولبية يشوبها شيء من البهجة . خليط من الموسيقى الكلاسيكية والالحان الراقصة ، ينتهـــــى بتتابع من الانغام يتزايد تفككها وتختتم بنغمة واحدة رصينة سخية) .

المعلم : كان الأمر ومضة . كان مفاجأة . رأيت الجنرالين يدوران دورة سيفيهما . رأيت الفتاة تنشقُّ وتتكاثر ، كأنها قنبلة تتناثر منها فتيات يرمقنني بابتسامة . رأيت الموتي وقد ارتسمت على وجوههم اعمار الحيـاة كلها ، يجرون نحوى وقد امتلأت ايديهم بالعذاب وقصائد الشعر . وانا الآن ميت بدورى . ليس لى ساقان ليس لى كتفان . أوجد في مكان اجهله ، ولكن هذا الذى بقى منى لايزال يحس بالنغمات وهبّات الهواء . وفضلا عن ذلك ، فاني ادرك انى ارى . ارى بيتى والخزف . ارى العصفور الذى كان يجب ان ينقذنا . شرخته القنبلة لكنها لم تدمره . اني اسير . اتحرك . افهم . مات الجنرالان ، ومع ذلك فالحرب ماضية في كل مكان من حولى . تلميذى مات ، اما انـا فسليم لم أمس . هذه كلمة تنتقص من الحقيقـة . اما انا فمازلت انا ، ألمس صدر العصفور البراق . اني امتزج مع القدرة المستكنة . سأنأى بمضاء عـن كل انواع السلاح ، واستحسن الانسجام المتماسك في جميع الأحوال . لكن اشفاقي لازال باقيا ومرتبطا بحياة الاحياء . هل تريدون ان يغرد العصفور فجأة وتنتهى الحياة الى الأبد ؟ (تنمو نغمة حـادة ، صاعدة ، وتمتزج رويداً رويداً باصوات مبهمـة تتوسل في صخب مشبوب العاطفة) كلا ؟ كلا ببساطة ؟ اذن ، هل نستمر ؟